دين الفطرة

للاستاذ الكبير السيد فتحى رضوان
وزير الإرشاد القومى

الاسلام دين الفطرة . هذه أكبر خصائصه . بل هى جوهر حقائقه وليس فى أركانه التى يقوم عليها ، ولا فى عباداته التى يأمر بها ، ولا فى الطريق التى يدعو اليها ، ما يخالف ماطبع عليه الناس الذين سلمت نفوسهم من الالتواء ، وخلت من شوائب التعقيد . ولقد انتشر الاسلام ولا يزال ينتشر على أيدى دعاة لم يتكلفوا الدعوة إليه ، بل عاشوا بين الناس بأسلوبهم الذى اختاره الاسلام لهم ، فتأثر بهم الذين رأوهم من غير المسلمين

والثابت الذى يرويه التاريخ ويذكره ولا ينكره حتى الكارهون الشانئون لديننا . أن المسلمين من التجار الذين كانوا يمارسون تجارتهم فى شرق إفريقيا وغربها وأحيانا فى وسطها ، نشروا أينما ذهبوا العقيدة الاسلامية ، فدخل فيها أهل هذه المناطق وحداناً وزرافات ، لأنهم رأوا من هؤلاء التجار فى خاصة حياتهم أسلوبا من التسامح والتعاون . وتوفيقا بين التمسك بأحكام الدين ، وتقديرا لاعتبارات الدنيا .

وقد بقى الاسلام رغم ما أصاب أهليه وأكثر دوله من أسباب الضعف ودواعى الاضمحلال ، دينا واضحا لاتستأثر بمركز القيادة فيه ، ولا بوظيفة الهداية اليه ، جماعة توزع على الناس صكوك المغفرة ولا جوازات المرور الى جنات النعيم ، وبقيت مناهله العذبة هى هى منذ انبثقت انواره ببعثة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنا خلت . فكتاب الله وسنة رسوله القولية والفعلية وإجماع الصحابة رضى الله عنهم هى الأسس التى تقوم عليها حياتنا العقلية والروحية نحن المسلمين .

فالقرآن لايحجب عن أحد مهما صغر شأنه بين أمة المسلمين ؛ وواجب تفهم آياته وتبين أحكامه والاستفسار عما غمض من ألفاظه أو معانيه واجب علينا جميعا ، فليس هو عمل نفقة ترد غيرها من طوائف المسلمين عن الفهم والتفقه والاجتهاد بعد التهيؤ له باسبابه ووسائله من الدرس والسير والاخلاص والخلو من أغراض الدنيا التي تلوى الأفهام وتفسد الأذواق .

ولا يزال المسلمون يقرأون القرآن فى مشارق الأرض ومغاربها فيرون الله سبحانه وتعالى لايذكر الإيمان الا مقرونا بالعمل ولا يذكر المؤمنين الا ويصفهم بأنهم العاملون . وقد جاءت أحاديث الرسول لتوثق صلة المسلمين بدنياهم وبالسعى فى مناكبها ، فما يروى أن رسول الله يقبل يدا ورمت فى العمل ويقول : تلك يد يحبها الله ورسوله ، وقال عليه الصلاة والسلام ، من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له ، وذكر للنبى عليه السلام رجل كثير العبادة فقال : من يقوم به ؟ قالوا أخوه ، قال أخوه أعبد منه .

ومر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحابه رضى الله عنهم من جلد هذا الرجل ونشاطه فى الكسب والارتزاق ماجعلهم يتحدثون فيه ، قالوا : يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ! فقال : إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان .

ولا يدعو الاسلام إلى [illegible] بل هو يدعو إلى العلم . وما يروى عن الرسول فى هذا المعنى قوله عليه السلام ، « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » ، « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة » . « وإنه ليستغفر للعالم من فى السموات ومن فى الأرض » .

وآخر الامر يدعو الاسلام إلى الحرية ويراها مناط المسلمين وسبيلهم الى الجنة ، ويراهم مسئولين عنها [illegible] ولا يقبل منهم عذرا فى قبول الضيم والاستكانة له ، أن يكونوا قد استضعفوا فى الله سبحانه ولقى ربهم .

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ، ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . »

فالذين يكفرون بالله ، مأواهم جهنم يتقلبون فى لظاها . والذين يقبلون ضيم الظالمين يشاركون أولئك الكفار فى هذا المصير ، ويقاسمونهم هذا العذاب .

وبعد . فالتصوف الاسلامى ، لابد أن تنعكس عليه حقائق الاسلام هذه . فيكون واضحا وضوح الاسلام ، بسيطا بساطته ، مؤكدا دعوته ، ناشرا فكرته ، داعيا تلاميذه وأتباعه إلى ما يدعو اليه الإسلام من العمل والعدل والسعى من أجل الرزق الحلال وكراهية الذل والضيم ، والزلفى الى الله بالجهاد فى سبيله ، بصوره التى دعا اليها القرآن ودعا إليها رسول المسلمين عليه الصلاة والسلام .

من روائع الأدب الصوفى

يقول العارف بالله السيد ابراهيم الدسوقى فى عزة النفس . ومقام التصوف

حرام على من وحد الله ربه ... وأفرده أن يحتدى أحدا رفدا
ويا صاحبى قف بى مع الحق وقفة ... لعمرت بها ربعا وأسيا بها وجدا
وقل لملوك الأرض تجهد جهدها ... فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

ومن الألحان العالية لرابعة العدوية

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب